بريد الجمعة

ثراء
المعارف الرقمية

بريد الجمعة

الجمعة ٨ اكتوبر ١٩٩٩

يكتبه : عبد الوهاب مطاوع

القرار السليم

أنا رجل أعمال شاب تعرفنى شخصيا لأننى قد تعاونت معك من قبل فى موضوع قديم من موضوعات بريد الجمعة، لكن ظروفى الآن تحول بينى وبين ذكر اسمى، وقد دفعنى للكتابة إليك ماقرأته فى بريد الجمعة من رسالة الزوجة الشابة التى انفصلت عن زوجها الذى تحبه ويحبها بسبب عدم قدرته على الإنجاب، وإحساسها بالندم على ذلك، ورغبتها فى العودة إليه، وقد كان بحبها بإخلاص ويحسن معاملتها، ولقد رددت عليها ونصحتها مادامت ترغب فى العودة إليه، بالاعتذار له عما فاته به تمهيدا لاستئناف حياتهما معا، ولقد أثارت هذه الرسالة شجونى. فلقد أفاء الله سبحانه وتعالى على بكل النعم، من مال ونجاح كبير فى الحياة العملية، إلا أن حكمته جل شأنه قد رأت أن تحرمنى من نعمة البنين، واكتشفت ذلك أخيرا حين تأخرت زوجتى فى الحمل واضطررنا لعمل التحاليل اللازمة فجاءت نتيجتها بهذه الحقيقة المؤلمة، وأنا رجل مؤمن بالله وراض بقضائه إلا أنه تواجهنى عدة مشكلات لا أدرى لها حلا، أولاها أننى أشعر بأننى أظلم زوجتى باستمرارها معى بالرغم من أنها مصرة على الحياة معى وترى أننى لم أقصر فى حقها وأرعى الله فيها وفى كل من هم حولى، وترى كذلك أن هناك أملا فى الشفاء، وهو من عند الله سبحانه وتعالى دائما، لكنى بمنطق رجل الأعمال أرى أن النهاية آتية لا ريب فيها وأنها لن تستطيع تحمل الحرمان من الولد إلى النهاية خاصة مع إنجاب صديقاتها وزميلاتها، ونظرات الأقارب المتسائلة عن سر عدم الإنجاب، ومن هذه المشكلات أيضا أننى لم أستطع حتى الآن ولا استطيع مواجهة أبى وأمى بهذا الابتلاء، خاصة أنهما فى حالة صحية لا تسمح لهما باحتمال هذه الصدمة ، ومنها ماسبق أن أشار إليه بعض المبتلين بمثل هذا الحرمان فى رسائلهم إليك وهى نظرات الناس من حولى وتساؤلاتهم لماذا لم تنجب حتى الآن وقد أفاء الله علينا بأكثر مما نستحق من نعم، وهى تساؤلات لا جواب لها عندى، اما المشكلة الأخيرة فتتعلق بى شخصيا، فلقد أصبت بحالة احباط شديدة عند علمى بهذه الحقيقة المؤلمة، وأشعر الآن أننى قد فقدت الحافز للحياة وبأنه لا معنى للسعى والعمل ولا لهذه المشاريع والأعمال التى أديرها، فهى لم تذهب لأحد من بعدى، وأبى وأمى لديهما مايكفيهما فلمن أعمل إذن وأكدح وأسعى إلى التوسع والنمو؟ إننى لا أجد داعيا للعمل وبالتالى إلى الحياة ولا حتى للخروج من باب البيت، ولقد وجدت سلوانى فى الصلاة وقراءة كتاب الله، املا أن يلهمنى الله سبحانه وتعالى الصبر والقرار السليم بشأن حياتى الخاصة، ذلك أننى أرى أننا يجب أن ننفصل أنا وزوجتى الحبيبة حتى لا نصل إلى المرحلة التى وصلت إليها الزوجة الشابة فى الرسالة المشار إليها حين طلبت الطلاق من زوجها وأصرت عليه بالرغم من دموع زوجها وتوسلاته إليها الا تتركه، ولكى اقطع دابر الأسئلة الحائرة من حولى، لكنى لا أجد فى نفسى الشجاعة لأن أخبر زوجتى برأيى هذا، كما أرى أننى يجب أن أصارح عائلتى ومن حولى بهذه الحقيقة المؤلمة لكنى أيضا لا أجد الشجاعة الكافية لذلك، وأنا أؤمن دائما بصواب رأيك، لكنى لا أتفق معك فى نصحك لهذه الزوجة بالاعتذار لزوجها والعودة إليه، لأنها لو اعتذرت ورجعت المياه إلى مجاريها بينهما فسوف يقلبها الحنين إلى الأطفال، ويتكرر ماحدث بينهما مرة أخرى، وأرى لها أن تترك زوجها لاقداره لأن اليأس إحدى الراحتين، ولا داعى لنكأ الجراح مرة أخرى، إننى انتظر رأيك فيما يواجهنى من مشكلات، وأرجو تجنب الإشارة الى أى شىء تقلع معه الاستنتاجات فى التعرف على شخصيتى راجيا من المولى عز وجل أن يلهمكم الصواب دائما، وان نتعاون مستقبلا فى أية مشكلات تخص اخواننا من قراء البريد.

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

حين يصطدم الإنسان بإحدى حقائق الحياة المؤلمة، ويتطلب منه الأمر اتخاذ قرار مصيرى بشأنها، فإن افضل مايفعله هو ان يؤجل اتخاذ هذا القرار بعض الوقت، إلى ان يستعيد توازنه الذى زلزلته هذه الحقيقة نفسها، ويتاح له الوقت الكافى لكى يبرأ من اثر الصدمة القاسية ومما اصابه من إحباط وقنوط ويأس انفعالا بها. ذلك ان اسوأ مانفعله بحياتنا هو ان نتخذ القرارات المصيرية بشأنها ونحن فى قمة ثائرتنا وتشوش افكارنا وانفعالنا بما لا يرضينا من حقائق الحياة المؤلمة.

وأنت ياصديقى فى بؤرة ثائرتك بما اكتشفت من عدم قدرتك على الإنجاب فى الوقت الحالى، وتستسوى لديك الآن كل الأشياء، وتشعر بعدم جدوى الحياة والحب والعمل والكفاح والعلاقات الإنسانية، وفقدت حتى الرغبة فى مجرد مغادرة البيت ومواصلة الاشتراك فى مباراة الحياة، وتقبل هزائمها والانتشاء بانتصاراتها.. فكيف تكون صالحا وانت فى هذه الحال من الضعف النفسى واليأس والقنوط لاتخاذ قرار قد تغادر به حياتك سلبا او إيجابا إلى نهاية العمر، انكم فى دنيا الأعمال والإدارة تقولون ان القرار الخاطىء الذى تكون له دائما أوخم العواقب هو القرار الذى يتخذه صاحبه انفعالا بموقف طارىء، او تحت ضغوط نفسية قاسية لا تتيح لصاحبه صفاء التفكير والتجرد من المؤثرات الشخصية، او بناء على معلومات ناقصة او خاطئة.

وقرارك الآن سوف تجتمع له كل اسباب الخطل اذا اتخذته على الفور، لأنك اولا فى قمة انفعالك الحزين بما عرفت عن نفسك، وتقع تحت ضغوط نفسية قاسية، ولا تتوافر لك كل الحقائق اللازمة لاتخاذ القرار الصحيح، وابسط دليل على افتقادك لها هو انك لا تضع اختيار الطرف الآخر المعنى بهذه المشكلة لحياته فى الاعتبار وهى زوجتك، وترجم بالغيب فتقرر انها لن تحتمل الحياة بدون إنجاب إلى مالانهاية، وسوف تعمل معك إلى النقطة التى تشفق على نفسك منها وتطلب ذات يوم الانفصال عنك، وكل ذلك ليس هناك مايؤكده او يجعل منه امرا غير قابل للمناقشة، فشريكة حياتك . كما تقول انت نفسك ، ترغب فى استمرار الحياة معك وترى انك ترعى الله فيها ولا تقصر فى حقوقها، والزوجة التى كتبت لى الرسالة وتخوف من أن تصل شريكة حياتك ذات يوم إلى مثل موقفها حين طلبت الطلاق، هى نفسها الزوجة التى ندمت على هجرها لزوجها وكتبت إلى ترجونى مناشدته أن يعيدها لعصمته بعد ان عرفت عن نفسها أنها لا تحتمل الحياة بعيدة عنه. فإذا كنت تستشهد بموقفها فى طلب الانفصال كدليل مؤكد على عدم قدرة شريكتك على احتمال الحياة معك بدون إنجاب إلى مالانهاية، فكيف غاب عنك موقف هذه الزوجة نفسها حين ندمت على تسرعها وافتقدت شريك حياتها المحب ورغبت فى العودة إليه والحياة معه بغير إنجاب ؟

لقد اثرت تأملاتى بحديثك عن عدم جدوى العمل والمال وليس هناك من سوف يرثه عنك، لكنى اقول لك ياصديقى: إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، وانت والحمد لله رجل مؤمن بالله سبحانه وتعالى ورسله وكتبه وبقضائه وقدره خيره وشره، فكيف تقنط من رحمته إلى هذا الحد؟ إن فى الحياة رجالا ونساء شاءت لهم اقدارهم ان يحرموا من الإنجاب فازدادوا عطفا وتمسكا بشركائهم وتعزوا عما افتقدوه بجوانب حياتهم الأخرى، وبالحب الصافى الذى يتشاربونه مع شركاء العمر وبالعطف المتبادل بينهم، وعرفوا انه لا يربط بينهم سوى الحب الصادق فحرصوا عليه وروّوا أشجاره.. فاثمرت ثمارها الطيبة فى حياتهم، وفى الحياة ايضا من اكتشفوا ملء هذه الحقيقة المؤلمة عن انفسهم فى بداية زواجهم فلم ييأسوا من رحمة ربهم، وصبروا على أقدارهم، وواصلوا السعى وطلب العلاج بلا كلل سنوات بعد سنوات، فمنهم من أنجب لأول مرة بعد زواجه بـ ١٢ أو ١٥ عاما، ومنهم من شعر بالرضا عن اقداره لانه لم يقصر فى طلب العلاج، واتسع قلبه لرعاية طفل محروم او تعوض عن حرمانه بأن أعتبر ابناء الأشقاء والشقيقات ابناءه وفاض عليهم قلبه بحبه وحنانه.

إننى اخشى أن أقول لك إنك بما تراه من ضرورة الانفصال عن زوجتك بعد اسابيع قليلة من اكتشاف عدم قدرتك على الانجاب وبغير كفاح طويل ومرير لطلب الشفاء ، اخشى ان اقول لك إنما تخشى على نفسك انت من اللحظة التى يشتد فيها حنين زوجتك للأطفال فتطلب منك الانفصال، اكثر مما تشفق عليها هى من حياتها معك بغير إنجاب وفى ذلك فانك ستكون ظالما لها بإقصائها عن حياتك على غير رغبتها بدعوى أنك تطلب لها الأفضل على المدى البعيد حتى ولو نالت لبعض الوقت لانفصالك عنها، ولن تكون ظالما لها على العكس من ذلك حين تواصل حياتك معها بناء على رغبتها واختيارها الحر، حتى ولو عانت داخليا مما لا مفر من معاناته فى مثل هذه الحالة.

إننا فى بعض الأحيان قد نتخذ من القرارات ماهو اكثرها انانية.. ونحن نتوهم اننا إنما نقدم بها التضحية لمن يستحقون التضحية من اجلهم ، ونصيحتى لك فى النهاية هى ان تؤجل اتخاذ أى قرار بشأن حياتك الشخصية إلى ان تستعيد صفاء الذهن وحماسك للحياة والأشياء من جديد، والا تنفرد باتخاذ هذا القرار دون شريكتك فى الحياة بدعوى التضحية بسعادتك فى سبيل سعادتها . فالسعادة الثمن من ان يضحى بها المرء بمثل هذه السهولة. ومنطق رجال الأعمال الذى ترى به ان النهاية آتية لا ريب فيها، لا يصلح للتعامل مع هذه المشكلة، لأنه منطق لا قلب له ويعتمد على الحقائق المجردة والأرقام الصماء وحدها، وحياتك وحياة زوجتك وسعادتكما إنما تحتاج إلى منطق الحب والعطف والتضحية الحقيقية وليست الموصومة.. للتعامل معها.

فأما إشفاقك على ابويك من إبلاغهما بما تعانيه فى مشكلة الإنجاب، وتساؤلات الآخرين من حولك، فالحق هو انك لست مطالبا بتفسير اى شىء فى حياتك الشخصية لآخرين فيما عدا والديك اللذين يهتمان بأمرك وصهريك اللذين يهتمان بأمر زوجتك ، ومااسهل ان تتلطف فى إبلاغ ابويك بانك تواجه بعض المشكلات الصحية فى الإنجاب لكنك تطلب العلاج بجدية وتأمل فى الشفاء ذات يوم قريب بإذن الله، وان تفعل زوجتك نفس الشىء مع ابويها.. ثم تغلقان باب التساؤل بعد ذلك أمام الجميع وتواصلان حياتكما فى امل لا ينقطع فى رحمة الله..

وتخرج انت من قوقعتك وتستعيد حماسك للحياة، وتؤمن بما امرنا به الهادى البشير صلوات الله عليه وسلامه، من انه إذا قامت الساعة وفى يد احدكم فسيلة فليغرسها فى الأرض طلبا للخير للآخرين ولو كانت الأزفة على الأبواب، فإذا كنت تتساءل عن جدوى العمل والتوسع والمال وليس هناك من يرثه، فإنى اقول لك إن الشجرة الوارفة يستفيد الآخرون بظلها ولا تستفيد هى منه شيئا.. ولهذا يفضلها الجميع على الشجرة الجرداء ويحضنونها بحبهم واعتزازهم، وكذلك الإنسان حين يمتد ظله على الآخرين ويحميهم من لهيب الشمس ويهيىء لهم أسباب السعادة، ويسعد نفسه وشركاء حياته وكل من حوله.